وجهة نظر

أساطير المثقفين !

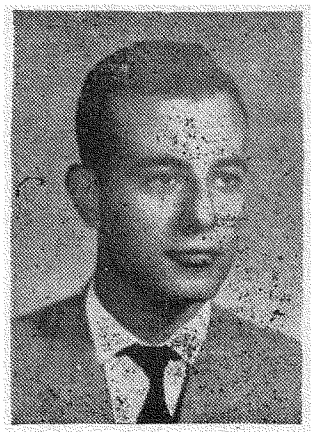

بقلم جورج طرابيشي

كشفت هزيمة الخامس من حزيران عن الحاجة الماسة الملحة الى تجذير الثورة العربية كرد أوحد على كل العوامل التي كانت وراء الهزيمة . والدعوة الى « ثورة ثقافية » هي جزء لايتجزأ من عملية التجذير تلك . والثورة الثقافية تعني ، فيما تعني ، ثورة على المثقفين انفسهم ، أو على الاقل على نمط محدد من المثقفين كان له دور محدد ايضا في وقوع الهزيمة ، والمثقفون الذين نعنيهم ههنا هم أولئك الذين تصوروا انه ليس للثقافة من وظيفة غير ترويج الاساطير . ولا غرو ان ارتفعت اصوات هؤلاء المثقفين عقب الهزيمة مباشرة لتنتقد بعنف وتطالب وتوزع المسؤوليات وتروج الاساطير جديدة : ذلك انجلودهم تحكمهم كما يقال وشعورهم المرهق بالذنب لابد ان يجد له متنفسا .واذا كان المطلب الاساسي لهؤلاء المثقفين اليوم تجذير الثورة العربية، فاننا لانجد مناصا من تذكيرهم بان هذا التجذير يجب ان يشملهم هم قبل غيرهم . وما داموا قد امتنعوا عن نقد انفسهم ذاتيا ووزعوا المسؤوليات على الآخرين بسخاء كبير ، وما دامت عملية التجذير تستلزم اول ما تستلزم عملية نقد شاملة ، فليسمحوا لنا اذن بان ننوب عنهم في فعل ما لا بد من فعله وما كان يجب ان يفعلوه .

ان هؤلاء المثقفين مسؤولون بدورهم عن الهزيمة لانهم خانوا رسالة الثقافة وامتهنوا صناعة الاساطير وترويجها . ولا يتسع المجال هنا لتعداد جميع الاساطير التي اختلقوها ولفربلتها وتصفية حسابها.ولكننا نستطيع ، في اطار مقال في مجلة ، ان نركز اهتمامنا على كبرى تلك الاساطير واخطرها وأوهاها : أسطورة الايديولوجيا العربية الخاصة الخصوصية .

ان وضع الايديولوجيات كان على الدوام من اختصاص المثقفين. وهذا من حقهم عندما تكون هناك حاجة حقيقية تاريخية الى ايديولوجيات جديدة . بيد ان المثقفين هم ايضا مهددون بالتشويه المهني . ومن أبرز مظاهر هذا التشويه الرغبة في عرض العضلات الثقافية حتى بعد ان يكون اوان الاستعراضات قد فات . واذا ما فهمنا ان المثقف بسيماته النفسية البورجوازية الصغيرة يتصور دوما تقريبا بان في اعماقه عملاقا ماردا يريد ان يتحرر ويبرزويخرج من قمقمة ، ادركنا لماذا يحلو للكثير من المثقفين ان يتخيلوا انهم يعيشون ـ وشعوبهم ـ في فراغ ايديولوجي خانق وان القدر قد وقع اختياره عليهم ليخرجوا شعوبهم من السديمية الايديولوجية وليقدموا اليها على طبق من ذهب تلك الايديولوجيا الخاصة الخصوصية التي لم يسبقهم اليها سابق والتي لايشوبها درن من اقتباس او استيراد .

ولا يستطيع احد ان ينكر ان الظروف الموضوعية للثورة العربية بحكم من الطبيعة البورجوازية الصغيرة لقيادتها قد ساعدت هذا النفر من المثقفين على ممارسة عملقاته الايديولوجية بلا عقاب . فالثورة العربية سارت حتى الان في طريق النضال العملي المباشر دونما دليل نظري محدد ودونما استراتيجية طويلة النفس بعيدة المدى ، ولم يكن لها من عاصم على الصعيد النظري غير منهج التجربة والخطأ الذي فرضته المعارك الملحة المتلاحقة التي كان على الثورة العربية ان تخوضها على جميع الجبهات من غير ان يتاح لها استرداد انفاسها ومن دون ان تمكنها ظروفها الذاتية والموضوعية معا من تنظير التجربة المتراكمة ، ذلك التنظير الذي تظل الممارسة بدونه عفوية ، متقلقلة ، مبهورة الانفاس ، أسيرة اللحظة الراهنة ، كثيرة التبذير ، عاجزة عن التبصر والتوقع ، مستغنية عن الاستراتيجية بالتكتيك ، وعن التكتيك بالتكتكة.

وبدلا من ان تكون تجربية الثورة العربية حافزا اضافيا لاولئك المثقفين على ممارسة دورهم الطليعي في تنظير التجارب المتراكمة نقدا وتعميما وفي تنوير الافق النظري بدلالة التجربة وبرسمها أولا واخيرا، أي بدلا من ان يكون غياب الافق النظري حافزا لهم على المزيد من الارتباط والالتزام بالمسيرة الواقعية لحركة الثورة العربية ،فقد اعتبروا انفسهم ، بحجة الفراغ الايديولوجي ، في حل من كل ارتباط والتزام واقعيين وأباحوا لانفسهم الاندفاع وراء شطحاتهم ومغامراتهم وعملقاتهم الايديولوجية المنفلتة من كل عقال غير عقال الخيال الذيلا عاقل له . ولم يحجم هؤلاء المثقفون في لحظة من اللحظات عن الاستشهاد باطروحة لينين القائلة بانه لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية ، ولكنهم لم يحجموا ايضا ـ وهم المعادون للينينية في تكوينهم وتطلعاتهم ـ عن تشويه تلك الاطروحة تشويها فظيعا ، فاصلين النظرية عن الحركة ومتصورين ان النظرية هي لعبة خيالية خالصة ، بنت صافية من بنات الافكار ، لا تستنير بالتجربة لتنيرها ، بل تنزل نفسها منزلة البديل عنها لتكون شاهدا على عبقرية المخيلة التي أبدعتها ومقياسا لعملقة المثقف الفكرية .

وليس من قبيل الصدفة ان يعلن احد اولئك المثقفين ان مسؤولية المفكر « اكبر من مسؤولية السياسي » وان الثورة العربية قد انتهت من طور السياسيين لتدخل في « طور الانبياء » (1) : فالدور الذي يرسمه هؤلاء المثقفون لانفسهم هو بالفعل دور انبياء ، دور من يبشر بعالم جديد و « يبني المصير الروحي » للامة . وحتى يعطي هؤلاء الانبياء

(1) : الدكتور نديم البيطار ـ « الايديولوجية الانقلابية » ـ المؤسسة الاهلية ـ ص ٢١ .

لأنفسهم عظمة النبوة وهالة النبوة ،تراهم يعلنون بلا حرج ـ وبلامسؤولية ايضا ـ انهم هم البدء الذي لابدء قبله ، وان العالم قبلهم كان خرابا وفسادا ، وان الانطلاق من البداية ، من الصفر ، وكأن شيئا لم يكن من قبل ، هو معيار الطهارة الثورية والابداع الايديولوجي ،وان العملقات الايديولوجية التي يقترحونها هي ضرورة تاريخية يستدعيها الفراغ الايديولوجي كما يستدعي الفراغ المكاني الفاز . وبكلمة واحدة : انهم، في محاولتهم الخروج من السديمية التجريبية للثورة العربية ، يلفون بكل بساطة الحركة الثورية الواقعية حتى يصبح في وسعهم أن يقولوا انهم قد ابدعوا اخيرا النظرية او الايديولوجيا الثورية التي طال انتظارها ، أبدعوها ابداعا مطلقا ، من عندياتهم ، من تلافيف مادتهم السنجابية دونما اعتماد على احد ودونما اقتباس عن احد ، من قبس قرائحهم ، من تهويمات العملاق الكامن في أعماقهم ، من معاناتهم الذاتية التي تلخص معاناة الامة بأسرها .

يقول الدكتور نديم البيطار : « هذا النوع من الانقلاب (من النبوة) قليل الحدوث ، لانه بفرض قيام وضعيه انقلابية تتميز بفراغ عقائدي هام ، تمحي فيها الرموز والقيم والقواعد العقائدية القديمة ككل ، فيصبح الفرد وجها لوجه امام الحياة والتاريخ دون أي مفهوم انساني يضبط علاقته بهما » (٢) .

ويقول الدكتور عصمت سيف الدوله : « لهذا كان على كل عربي يريد ان يؤدي دورا فكريا في هذا الميدان (ميدان ابداع الايديولوجيا) ان يبدأ من اصعب النقاط : الصفر » . (٣)

وهذا الحرص على بكورية النبوة وعلى عذرية الابداع يتجلى ايضا لدى الاستاذ مطاع صفدي الذي يعلن على لسان مارتان هيدجر ان « فيلسوف العصر ، عبر كل التراث من افكار الانسانية ، ما زال يحس ان الانسان لم يفكر بعد . أو ليس ذلك لان حاجة التأسيس ، حاجة البدء من الصفر ، هي المسألة التي لا جواب عليها بعد ، مهما حاولنا ان نخصب غابات من الاجوبة » (٤).

والانبياء ، كما هو معلوم ، صفوة من البشر . ومثقفونا من اللحظة التي يعلنون فيها انفسهم أنبياء الرؤيا الايديولوجية الجديدة يجدون انفسهم مرغمين ، هم صفوة البشر ، على التوجه بالخطاب الى صفوة البشر أيضا . اما الجماهير ، اما السواد الاعظم من عباد الله ، فليس لهم من دور الا ان يكونوا آذانا صاغية ، قطعانا وديعة ، دمى تسمع ولا تناقش ، تأخذ ولا تعطي ،تتلقى ولا تمنح . هذه العلاقة النخبوية بين النبي وبين الاتباع يحددها الدكتور نديم البيطار بصراحة مطلقة: « ان جمهرة الناس واكثريتهم في كل مجتمع من المجتمعات لهي كائنات جامدة كالدمى وغير خلاقة،تكتفي باتباع العادات الجارية والتقاليد السائدة . فهي ذات نفسية تقليدية تجاري ما تجده وما يتوفر لهم من نظم . اما الخلق والابداع فهما دائما من عمل فئات واقليات ضئيلة تجابه ازمات التاريخ وتقود المجتمعات في احرج أزماتها » (٥).

وبالرغم من ان مطاع صفدي لا يزدري الجماهير يمثل هذه الصراحة ، وبالرغم من انه يستبدل مصطلح النبي بمصطلح الثوري،فان ثوريه يتحدد قبل كل شيء بفردبته ، بانفصاله عن الجماهير،بانسلاخه عن سديمية الجماهير ، عن الناس ،عن ال « هم » . انه يقول :« عربي العصر ثوري اشكالي . انه ينطلق في حركته المزقة من أناه الفردية اولا . واول ما يفعل انه يعلن عن ذاته بهذه الصرخة :« انا ثوري !» . ويضيف :« ان بروز الفرد من سديم الكتلة هو غاية الثورية » . والسديمية حالة تحدد « وجود السواد الاعظم من الناس » ، الناس الذين ليس لديهم ما يقلقهم غير « حاجاتهم الاولية » والذين « يؤلفون في الواقع عقبة الحرية » . ومن هنا كان الشعور الاول للثوري المزعوم هو شعور نخبوي، شعور بالتفرد ،« نفرد الوحشة » . ولكن مهما غالى الثوري المزعوم في التفرد ، في عداء الناس ، في التعالي على الاخرين ، في « الصدية »، فان حاجته الى الناس ، الى الجماهير تظل كحاجة النبي الى أتباع . فمن دون سديمية الجماهير لا يمكن ان يبرز الوجه المتفرد للثوري . يقول مطاع صفدي:« ان الثوري يتطلب حضور الجماعة، لا بشكلها المشخص وصيغها المنوعة، بل كعمق سديمي لتجربته النضالية ... ان حضور الجماعة يمكن الثوري من اكتشاف مطرد فيها لمجالات نضاليته المتفجرة » (٦) .

ومن اللحظة التي يختار فيها الثوري المزعوم أناه المتفردة ضد كل سديمية الجماهير ، فانه يجد نفسه مضطرا الى الاعتراف بصراحة كلية بانه ثائر بلا قضية ، « ثائر لا من شيء ، ولا ضد اي شيء، ثائر فحسب ، ثائر لانه ثائر » . وانما من عبثية قضيته هذه يستمد الثوري بطولته (أو نبوته) :« الابطال وحدهم هم الذين يقدرون مشقة تحمل مسؤولية الانتصار ...اذ انه يدعوهم ،هو ذاته ، الى انتصار اعظم، وهذه الدعوة موجهة خاصة لتحقيق الانتصار المطلق الذي لن يتحقق مطلقا » . ولا غرو ان اخذ الثوري وجها سيزيفيا ، فهو « مرهق بدعوة كبرى هي اعتقاد بافجع عبثية للوجود » ، و« مدفوع الى الا يوقن بما تخلق ثورته . واذا كان له ثمة يقين ما فهو ينصب على الثورة المستمرة كحركة ... فيؤمن بحركتها ويتجاوز ما تخلق هذه الحركة .... يؤمن بقدرتها على التحقيق ويرفض ما تحققه » . وهذه الثورة السيزيفية الدائمة التي لا تبحث عن الجدوى بقدر ما تهوى الحركة في حد ذاتها هي التي تدفع مطاع صفدي الى رفض ما يسميه بالثورية الاجتماعية . فالثوري الاجتماعي (الماركسي على سبيل المثال) هو في نظر مطاع صفدي « ثوري مرحلي » يتصدى لاهداف محددة ويحدد عمله بظروف معينة . اما الثوري الاشكالي فانه ثوري مبدئي لا يتأثر بالظروف ولا يرى من الثورة غير مبدأها لا قضيتها وهو يأبى أن يحد ثوريته بأي قضية محددة . والثوري الاجتماعي، بحكم من تطلعه الى الجدوى والى الفعالية ، « مقيد بنظرة علمية ». اما الثوري الاشكالي فانه « يستند الى عقيدة شاملة » تأبى تقييد نفسها بمهام ظرفية ، مهام اقتصادية او سياسية او اجتماعية دنيوية صغيرة (٧) .

وما يتجاهله مطاع صفدي ههنا أن سيزيف قد يكون بطلا ،ولكنه حتما ليس بثوري . ولكن هل مطاع صفدي يجهل ذلك حقا ؟ الا يصارحنا هو نفسه بأن الثوري الاشكالي « لا يرفض قيمة باسم أي قيمة أخرى ، وانما هو يهدم سلم القيم باسم لا شيء .. انه ليس انسانا مبشرا ، ليس انسانا يدعو لحياة مؤجلة باسم المستقبل، انه لا يبني للمستقبل ، لانه لا يؤمن قط بانه يعمل من اجل الاخرين»(٨).

وعلى فرض ان الثوري الاشكالي ،بالرغم من كل هلوساته ،ثوري بمعنى من المعاني، ولكن ما حاجتنا اليه ، ما حاجة القضية اليه ، ما حاجة الجماهير اليه ما دام « يتأبط الجحيم ولا يعد نفسه او الآخرين بأية جنة » !! (٩)

* * *

قد يلاحظ القارىء باننا شططنا وكدنا نخرج عن موضوعنا .ولكن عذرنا ، الى حد ما ، معنا . فعالم الكثيرين من مثقفينا هو عالم هلوسة. واذا قبلنا بأن ندخله ولو لمرة واحدة ، فاننا لا نملك ضمانة للخروج

(٢) : المصدر نفسه ـ ص ٦٧ ـ ٦٨ .

(٣) : الدكتور عصمت سيف الدولة :« اسس الاشتراكية العربية» ـ الدار القومية ـ ص ٩.

(٤) مطاع صفدي :« الثورة في التجربة » ـ دار الطليعة ـ ص ٦ .

(٥) « الايديولوجية الانقلابية » ـ ص ٢٦ .

(٦) مطاع صفدي :« الثوري والثوري العربي » ـ دار الطليعة ـ الجمل الموضوعة بين أهلة مزدوجة مأخوذة على التوالي من الصفحات: ٦٩ ـ ٧٤ ـ ٧٦ ـ ٨٣ .

(٧) :« الثوري والثوري العربي » ـ ص ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ١٤٠ ـ ١٤٤ ـ ١٥٩ .

(٨) : المصدر نفسه ـ ص ١٣٣ .

(٩) : المصدر نفسه ـ ص ٤٨٢ .

منه في اللحظة التي نريد ولا من المخرج الذي كنا نظن انه هوالمخرج. اما وقد خرجنا ، فان من حق القارىء ان يعيدنا الى سؤالنا الاولى: ما مصير الايديولوجيات الثورية التي جشم مثقفونا انفسهم عناء تسويد آلاف الصفحات ليقولوا انهم أبدعوا اخيرا النظرية الثورية التي طال انتظار الحركة الثورية العربية لها ؟

الواقع أننا لا نستطيع أن نتحدث عن مصير هذه الايديولوجيات لانها بكل بساطة لم توجد بعد . انها ما تزال « في الورشة »، في خلايا المادة السنجابية العزيزة على مثقفينا .

فالاستاذ مطاع صفدي حرر ما يزيد على الف صفحة (مجموع عدد صفحات كتابية » « الثوري والثوري العربي » و« الثورة في التجربة ») ليقول لنا في نهاية المطاف أن « نظرية الثورة » ما تزال « قيد الطبع » . وبالرغم من انه قد مضى على هذا الاعلان حوالى سبع سنوات ، فاننا ما زلنا بانتظار خروج « نظرية الثورة » من المطبعة .

أما الدكتور عصمت سيف الدولة فقد سوّد اكثر من اربعمئة صفحة ليعرض « أسس الاشتراكية العربية » ، فاذا بالقسم الاعظم من كتابه مكرس لنقد الماركسية أو لما يتوهم انه نقد الماركسية .

أما الصفحات القلائل التي خصصها للحديث عن « الاشتراكية العربية » ، فانها من هذا النمط من الانشاء الذي اعتدناه في مرحلة طفولة الفكر السياسي العربي :

« بهذا يصبح النضال والتخطيط من اجل الوحدة والحرية نضالا وتخطيطا اشتراكيا ، ويصبح للاشتراكية في بلادنا مضمون متميز لنقول: انها اشتراكية عربية . فالاشتراكية العربية لا تعني الغاء الملكية الخاصة لادوات الانتاج (كذا !) كما يقول الماركسيون ، ولا تعني التوزيع العادل للدخل وفرص العمل كما يقول الفابيون ، ولا تعني رفع مستوى المعيشة كما يقول الاشتراكيون في بلاد الرخاء ، بل تعني ما يشمل هذا ويتجاوزه اضافة من ظروفنا الى مستقبلنا . انها تعني الوحدة والحرية والرخاء معا . وبهذا (باي شيء ؟) تتميز الاشتراكية العربية عن المفاهيم الاشتراكية الاخرى ،وتتميز بها الاشتراكيون العرب عن غيرهم من الاشتراكيين ، ماركسيين كانوا أو غير ماركسيين .فليس اشتراكيا عربيا من يدعو ويناضل من اجل الغاء الملكية الخاصةلادوات الانتاج ويقبل التجزئة او الدكتاتورية . انه شيوعي .(من قال ان الماركسي يريد بالاضافة الى التأميم التجزئة او الدكتاتورية ؟).

وليس اشتراكيا عربيا من يدعو ويناضل في سبيل التوزيع العادل للدخل وفرص العمل ولو في ظل الوحدة ويقبل الاستبداد . انه فاشستي .

(وهل يناضل الفاشستي في سبيل التوزيع العادل للدخل ؟). وليس اشتراكيا عربيا من يدعو ويناضل من اجل رفع مستوى المعيشة في ظل الاحتلال . انه عميل استعماري . (وهل من الممكن اصلا رفع مستوى المعيشة في ظل الاحتلال ؟) . انما الاشتراكي العربي من يدعو ويناضل في سبيل الحرية والوحدة والاشتراكية معا باللاكتشاف العبقري) (١٠) .

وتبقى بعد ذلك محاولة الدكتور نديم البيطار في « الايديولوجية الانقلابية » ، وهي من أطول المحاولات (١٠٠٠ صفحة) ومن اكثرها جدية . وهي الجديرة وحدها بأن نتوقف عندها مليا .

ان نقطة انطلاق الدكتور نديم البيطار الاساسية هي أن الفراغ الايديولوجي مظهر رئيسي في أزمة الثورة العربية . وبالرغم من عدم مطابقة هذا التعبير :« الفراغ الايديولوجي » ، لان التجريبية هي ايضا نوع من الايديولوجيا ، فاننا نستطيع ان نعتبر رغبة الدكتور البيطار في سد هذا الفراغ رغبة مشروعة . والمسالة كلها هي أن نرى كيف حاول أن يسده .

هناك اولا مسألة المنهج . فالدكتور البيطار تلميذ مجتهد لمنهج علم الاجتماع الاميركي . فبالاستناد الى تحليل عدد وفير من الايديولوجيات الثورية التي ظهرت في العالم واستقرائها واقنمتها ، يحاول الدكتور البيطار ان يستنتج الشروط الشكلية او المورفولوجيةالتي لا بد ان تتوفر لكل أيديولوجيا حتى تستحق اسم الايديولوجيا حقا .

والمسألة كلها تنحصر في رأيه في اننا اذا ما توصلنا الى استنباط مورفولوجيا عامة للايديولوجيات الثورية فمن السهولة بمكان بعدئذ ان نملأ هذا الشكل الايديولوجي العام بمضمون عربي خاص .

الدكتور البيطار لا يزعم اذن انه يضع ايديولوجيا الثورة العربية، انما كل ما يريد ان يوضحه هو كيف يمكن لنا بدورنا كعرب ان ننشىء الايديولوجيا الخاصة بنا . والمسألة صعبة وسهلة في آن واحد . فاذا ما أحطنا بفن انشاء الايديولوجيات (وهذه هيالمرحلة الصعبة) ، كان من السهل علينا أن نحوله الى فن تطبيقي ، أي نملأ الوعاء بماء .

الوعاء اولا ثم الماء .وهذامعناه : الشكل اولا ثم المضمون . هذه هي الملاحظة المنهجية الاولى . وهي ملاحظة خطيرة ، والنتائج التيانقاد اليها الدكتور البيطار بفعلها اخطر أيضا . اذ ما دام معيار الايديولوجية الثورية صفات مورفولوجية محددة (كأن تكون على سبيل المثال شمولية ، مطلقة ، طقسية ،الخ)، فلا عجب ان ينتهي الدكتور البيطار الى نتيجة عبقرية لا تكتفي بالقول بأن النازية والشيوعية على حد سواء هما من الايديولوجيات الثورية فحسب ، بل تضيف بانالنازية « اكثر ثورية انقلابية من الماركسية » (١١) ،من بعض الجوانب علىالاقل.

ومن اللحظة التي اختار فيها الدكتور البيطار تعريف الايديولوجيات الثورية بدءا من الوعاء ، من الشكل ،من الصفات المورفولوجية ، فلا عجب ان ادخل في مقولة الايديولوجيا الثورية ايديولوجيات مضادة للثورة جذريا ومفرقة في الرجعية من حيث المضمون الى درجة الجنون كالايديولوجيا النازية على سبيل المثال. وهكذا يتوصل الدكتور البيطار الى ان يكتب مدافعا عن الثورية الشكلية للايديولوجيا النازية :« يتكلم الشيوعيون عن النازية كحركة رجعية ، ولكن هذه الكلمة ، ان نحن ارجعناها الى مصدرها في القرن التاسع عشر (اي ان نحن اخذنا مورفولوجيتها وحدها بعين الاعتبار تعني رجوعا الى الكنيسة والموقف الكاثوليكي والانتصار للشعور الملكي ضد الشعور الجمهوري وتأكيد الموقف التقليدي وسلطة الطبقات الماضية . لهذا كان من اللغو حقا تسمية الحركة النازية او الفاشية بالحركة الرجعية لانهما نقضتا ليس فقط تلك المبادىءوالمشاعر بل التراث الغربي بطابعه الرئيسي الحديث » (١٢) .

والملاحظة المنهجية الثانية هي ان الدكتور البيطار أجاز لنفسه، رغم انف كل المنطق العلمي ، محاكمة الايديولوجيات واستقراءهااستنادا الى مصادر ثانية لا الى المصادر الاولية ، اي استنادا الى ما قيل وكتب حول تلك الايديولوجيات دون الرجوع البتة الى ما قالته هذه الايديولوجيات عن نفسها . وبديهي ان المرء لا يحاكم بناء على اقواله الشخصية وحدها ، ولكنه لا يحاكم ايضا بناء على اقوال الاخرين وحدها . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان غالبية مصادر الدكتورالبيطار هي مصادر اميركية ، أدركنا اي صورة مشوهة ، أسطورية ، تخريفية، يقدمها الدكتور البيطار لقرائه عن الماركسية . فهو يقول مثلا ان ماركس لم يأت بجديد وان جميع افكاره « موجودة في روسووبرودون»

(١٠) :« اسس الاشتراكية العربية »ـ ص ٣٧٩ .

(١١) :« الايديولوجية الانقلابية »ـ ص ٧٦ .

(١٢) : المصدر نفسه ـ ص ٧٧. وبالمناسبة نشير الى ان مروجي الاساطير من المثقفين يحلو لهم دائما ان يضعوا الماركسية والنازية على مستوى واحد . وهكذا يقول مطاع صفدي المعادي جذريا للماركسية بأن الشيوعية الروسية فلسفة استعمارية « لا تختلف عن النازيةالالمانية والفاشستية الايطالية » وان« الحكام السوفييت وقفوا في صفواحد مع الاستعمار القديم » . (الثوري والثوري العربي ـ ص ١٤١-١٤٤).

(١٣) . او هو ينسب الى لينين هذا التخريف الطوبائي : « اعلن لينين، مباشرة بعد استلام السلطة ، ان المجتمع الشيوعي اللاطبقي اصبح في متناول اليد ،ولن يتأخر اكثر من ستة اشهر كي يتحقق ويتبلور» (١٤) . أو هو يخترع بالاستناد الى مصادره الثانوية اسطورة تنسب الى الماركسية نزعة عداء الجماهير وازدرائها وتقول ان ماركس وانجلز كانا « في حذر وخوف من الجماهير دائمين » وان لينين كان يعبر عن « ريبة بالجماهير وشك دائم » (١٥) أو هو يفترض بأن الماركسية، بالرغم من تسميتها بالاشتراكية العلمية ، ليست في حقيقة أمرها سوى دين جديد ويؤكد ان « الماركسية في شكلها الفكري لم تكن خطوة من الاشتراكية المثالية الى الاشتراكية العلمية ،بل كانت خطوة من الاشتراكية الى دين اشتراكي » (١٦) ويضيف في مكان آخر بان « فلسفة هيجل وماركس تحولت الى دين على يد لينين » (١٧) (ضاربا عرض الحائط بالتناقض الذي أوقع فيه نفسه عندما قال في البداية ان ظهور الماركسية كان يعني تحولا من الاشتراكية الى دين اشتراكي ثم اضاف بان الماركسية ،التي هي بالاساس دين، قد تحولت الى دين على يد لينين !) .

وثالث الملاحظات المنهجية ان الدكتور البيطار قد أوقع نفسه في كل الاخطاء التي يقع فيها اتباع المذهب السلوكي من علماء الاجتماع الاميركيين فهؤلاء العلماء الذين يدعون الموضوعية والعلمية (يجب ان نقول : العلموية) يزعمون ان ابحاثهم ومقولاتهم ومفاهيمهم استقرائية وتجريبية خالصة ، وضعية ، فيزيائية ، ليس فيها أثر من ميتافيزياء أحكام القيمة . فهم على سبيل المثال ينشئون مفهوم «الديموقراطية» كما اوضح ماركوز من خلال تحليل واستقراء الاسس الراهنة للمجتمع الاميركي ، ثم يطبقون ذلك المفهوم « المستقرا » على المجتمع الاميركي نفسه لينتهوا الى هذه النتيجة العبقرية الا وهي ان المجتمع الاميركي هو بالفعل مجتمع ديموقراطي ! وهذا بالضبط ما يفعله الدكتور البيطار بمقولة الايديولوجيا الثورية . فهو يريد ان يحدد مورفولوجيا الايديولوجيا الثورية عن طرق الاستقراء التجريبي لعدد من الايديولوجيات الثورية . وهو بالطبع يفترض أن استقراءه هذا يخلو من اي حكم قيمة . ولكن ما يتجاهله هو ان نقطة انطلاقه بالذات هي حكم قيمة . اذ كيف يمكن اعتبار النازية على سبيل المثال ايديولوجيا ثورية اذا لم يكن هذا الاعتبار قائما على حكم قيمة ؟ ومن اللحظة التي ينتبه فيها القارىء لهذه اللعبة ، اي من اللحظة التي يعارض فيها حكم المؤلف التقييمي الاولي بصدد ثورية الايديولوجيا النازية بحكم تقييمي مضاد بصدد رجعية النازية كايديولوجيا ، تنهار كل البناية التي حاول الدكتور البيطار تشييدها وتكف مورفولوجيا الايديولوجيات الثورية عن أن تكون فعلا مورفولوجيا الايديولوجيات الثورية .واذا كان الدكتور البيطار يريدنا أن نتصور بعد تحليله الطويل ان كل ايديولوجيا تتمتع بالصفات المورفولوجية ،نفسها التي تتمتع بها النازية هي ايديولوجيا ثورية ،فان القارىء يستطيع ان يعكس المعادلة ويقول ان مثل هذه الايديولوجيا هي بالضرورة رجعية لان مورفولوجيتها هي مورفولوجيا الايديولوجيا النازية .

ورابع الملاحظات المنهجية وآخرها أن الدكتور البيطار يخلط خلطا شنيعا بين مفهومين متنابذين للايديولوجيا : الايديولوجيا كمرآة فكرية مشوهة ، تبريرية ، تستخدم كأداة لتمويه المقاصد والاهداف والمصالح الحقيقية ، والايدلوجيا كجملة افكار منبثقة عن مذهب معين في تحليل حركة الواقع وتنظيرها . فالنازية على سبيل المثال هي ايديولوجيا من النمط الاول ، اي جملة عقائد مستخدمة كستار لتمويه تطلع الامبريالية الالمانية الى السيطرة على العالم واستعماره وتحويله الى « مجال حيوي » . وبالمقابل فان الماركسية تفترض نفسها « أيديولوجيا » من النمط الثاني ، اي جملة افكار تعكس حركة الواقع بالقدر الممكن من الامانة بلا تشويه ولااساطير. وقد بلغ نفور الماركسية من النمط الاول من الايديولوجية حدا جعلها ترفض اطلاق تسمية الايديولوجيا على مذهبها واعتبرت نفسها نقدا لكل الايديولوجيات ونهاية لها . وبالفعل يندر ان نجد في كتابات ائمة الماركسية تعبير « الايديولوجيا الماركسية » ، وهم لا يستخدمون مصطلح الايديولوجيا الا نقدا وترذيلا (مثال : كتاب ماركس وانجلز عن « الايديولوجيا الالمانية ») .

هل الماركسية ايديولوجيا ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تتوقف على المقصود من مصطلح الايديولوجيا . وعلى كل فان النظرية الماركسية تتناقض على طول الخط مع مفهوم الايديولوجيا بالمعنى الذي يستخدمه الدكتور البيطار . واذا كنا نؤثر استخدام تعبير «النظرية الماركسية » على تعبير « الايديولوجيا الماركسية » منعا لكل التباس بين المفهومين الانفي الذكر للايديولوجيا ، فاننا لا ننكر انه قد وجد في التاريخ نوع من « الايديولوجيا الماركسية » بالمعنى المرذول للكلمة ماركسيا . وما « الايديولوجيا الماركسية » الا النظرية الماركسية في مرحلة انحطاطها الستاليني (وغير الستاليني أيضا) . وبعبارة أخرى ، فلنقل : ان الماركسية لا تبدأ بالتحول الى ايديولوجيا الا من اللحظة التي تشرع فيها بالانحطاط ،اي بالتحول الى مرآة تبريرية مشوهة ، غرضها تمويه حركة الواقع الحقيقية وتبريرها .والدكتور البيطار لا يميز مع الاسف بين النظرية الماركسية والايديولوجيا الماركسية ، اي لا يميز بين الماركسية وبين انحطاطها وكاريكاتورها .وما يفترض الدكتور البيطار انه الصفات المورفولوجية للايديولوجيا الماركسية هو في حقيقة الامر الصفات المورفولوجية لكاريكاتور الماركسية .

ولا يدر بخلدنا ان الدكتور البيطار يسيء النية ،بل على العكس: فهو يريد ان تكون الايديولوجيا العربية صورة طبق الاصل مورفولوجيا عن الايديولوجيا الماركسية . ولكننا نحن نستطيع ان نشكر الدكتور البيطار على جهوده بشرط ان نعكس الاية ، اي بشرط أن نعمل على ان تكون نظرية الثورة العربية بعيدة كل البعد مورفولوجيا عن الصفات الراهنة للماركسية ، كأيديولوجيا ، ككاريكاتور ، وقريبة كل القرب من الماركسية كنظرية ، كمنهج ، كعلم اجتماعي (١٨). وليسوف نضرب بعض الامثلة .

ان الدكتور البيطار من خلال استقرائه للايديولوجيات الثورية المزعومة ومن ضمنها النازية وكاريكاتور الماركسية يدعو الى ان تقوم نظرية الثورة العربية لا على العقل ولا على العلم ، وانما على نوع من الولاء الفريزي او الصوفي او الديني . انه يقول على سبيل المثال (وليعذرنا القارىء اذا اكثرنا من الاستشهادات :)

« ان الايديولوجية الانقلابية تحمل في الحياة التي تولدها برهانها فلا تخضع لتحليلات علمية او حجج عقلية . فهي تتمتع بالولاء والاخلاص اللذين تحتاج اليهما بشهادة نفسية وجدانية » (١٩) .

« يقبل الانسان على الفلسفة الاجتماعية عن طريق فكري، بسبب حاجات فكرية ، ويقبلها او يرفضها عادة تبعا لمقاييس فكرية ،ولكنه يقبل على الايديولوجيا بسبب حاجات نفسية اخلاقية ، بسبب مشاعر وعواطف تجد منفذا فيها » (٢٠) .

« ان الايديولوجية تتجه الى الميول والمشاعر والغرائز .. ومن

(١٣) : « الايديولوجية الانقلابية » ـ ص ٢٣٥ .
(١٤) : المصدر نفسه ـ ص ٢٩٧ .
(١٥) : المصدر نفسه ـ ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ .
(١٦) : المصدر نفسه ـ ص ٤٨٠ ـ ٤٨١ .
(١٧) : المصدر نفسه ـ ص ٦٦٥ .

(١٨) : وبديهي بعد هذا ان نظرية الثورة العربية لا يمكن ان تكون شيئا آخر غير الماركسية ، لان الماركسية ما تزال النظرية العلمية الوحيدة للثورة ، ولكن ـ ولكن هذه اساسية ـ الماركسية بعد تعريبها اي تطويرها من نظرية للثورة بشكل عام الى نظرية للثورة العربية.
(١٩) : الايديولوجية الانقلابية » ـ ص ٩٦ .
(٢٠) : المصدر نفسه ـ ص ٩٦ .

اهم الاستنتاجات الاولى التي نأخذها من التجارب الايديولوجية الثورية الكبرى في التاريخ هو ان الامر المهم ليس ما يؤمن به الناس ولكن الكيفية التي يؤمنون بها » (٢١)

ـ « قوة الايديولوجية الانقلابية تنشأ من العلاقة العاطفية بل الصوفية التي تولدها في أنفس المؤمنين بها » (٢٢) .

ـ « ان علمية او لا علمية ، واقعية او اسطورية المذاهب والعقائد لا أهمية لها أبدا ولا تؤدي الى اي فرق في قوتها ان كانت طرق التثقيف طرقا فعالة » (٢٣) .

ولا أعتقد أن ثمة حاجة بعد هذا للقول بان نظرية الثورة العربية يجب ان تكون متناقضة على طول الخط مع ما يدعو الدكتور البيطار الى ان تكونه ، هذا اذا كنا نريد لهذه النظرية ان تكون دليلا للعمل ، منارة للتجربة ،وليس اسطورة أو مرآة ايديولوجية مشوهة .

ومن خلال استقراء الدكتور البيطار للصفات الاورفولوجية للايديولوجيات الثورية المزعومة ، اي للنازية وكاريكاتور الماركسية بالدرجة الاولى ، يتوصل الى الاستنتاج بأن « ايديولوجيا » الثورة العربية يجب ان تكون مطلقة ، متعصبة ، متعالية على الحوار العلمي، مغلقة دون النقد ، ايمانها بذاتها ايمان صوفي ، مهووس ، لا نهائي ولا نقدي . وهذه أيضا بعض امثلة .

ـ « ان كل ايديولوجية انقلابية يجب ان تكون فوق اي تحليل ونقد ان هي ارادت ان تكون فعالة » (٢٤) .

ـ « تعبر قوة الايمان عن ذاتها ، كما لاحظ برجسون، ليس في تحريك الجبال بل في العجز عن رؤية الجبال . فالثقة التامة بعصمة المذهب او الايديولوجية الانقلابية هي التي تجعل سلوك الانقلابي يستثني عفويا المفاجآت والوقائع السلبية من العالم الذي يحيط به ... عبر لوثر عن ذلك خير تعبير عندما قال :« يجب ان نتمسك بالكلمة الموحى بها في التوراة ،حتى لو رأيت جميع ملائكة السماء، تأتي وتقول لي شيئا آخر مخالفا ، فلن أشك ،ليس فقط بحرف من كلمات الانجيل ،بل انني أغلق عيني واذني ، لان ما تقوله الملائكة لا يستحق النظر او السمع » .

لا يحد قياس فعالية الحركة الانقلابية في عمق فلسفتها او واقعية حقائقها ... بل في قدرتها على كسب ولاء أتباع يأبون ان يروا أو يسمعوا » (٢٥).

ـ « لا تستطيع الايديولوجية الانقلابية ان تتحرى الحقيقة الموضوعية حتى في العلم ، لان الحقيقة العلمية ذاتها تخضع لمنطقها ونظامها السياسي » (٢٦).

ـ « من ناحية سيكولوجية ايديولوجية ليس هناك فرق بين نفسية النازي والمسيحي، بين الايمان الذي يسهر عليه الحزب الشيوعي وبين الايمان الذي ترعاه الكنيسة الكاثوليكية »(٢٧).

ـ « عندما تظهر الايديولوجية بمظهر الاعتدال والتسامح ، فتنفتح للآراء الاخرى ، فان ذلك يعني انها خسرت حيويتها وفعاليتها وبدأت تنهار وتموت » (٢٨) .

ـ « تأبى الايديولوجيات الانقلابية الحديثة النقد ، وتؤمن بانها خارج النقد ، وان النقد لا يستطيع ان يتناولها ،وبهذه الخاصة يظهر روحها الديني » (٢٩).

وبديهي ان الدكتور البيطار لو قال هذا الكلام في معرض النقد والاستنكار ، ولو احتج على الطابع الانفلاقي للايديولوجيات ومورفولوجيتها الايمانية ، لكان ممكنا أن نفهمه . ولكن الدكتور البيطار لا ينتقد ولا يحتج، بل يؤيد ، ويطالب بأن تكون الايديولوجيا العربية صورة اخرى عن ذلك التعصب المعمي . ولا اعتقد ان ثمة حاجة هنا أيضا للقول بأن نظرية الثورة العربية يجب أن تكون متناقضة على طول الخط مع ما يدعو الدكتور البيطار الى أن تكونه ، والا فانها ستكون بالفعل « أيديولوجيا » بالمعنى المرذول لهذه الكلمة ماركسيا .

والواقع ان كتاب الدكتور البيطار الضخم كان سيكون جديرا بالثناء لو كان نقدا أو هجاء للانحطاط « الايديولوجي » للماركسية، اي لتحول نظرية ماركس ولينين الاجتماعية ، التاريخية ، العلمية،الى عقيدة ايمانية لها أصنامها وأيقوناتها وكنيستها وسدنتها . ولكن انحطاط الماركسية هذا (وهو الانحطاط الذي بلغ ذروته في المرحلة الستالينية) هو الذي يرقع الماركسية في نظر الدكتور البيطار الى مستوى الايديولوجيات الانقلابية الكبرى في التاريخ (الى مستوى النازية على سبيل المثال) .

ويبقى بعد ذلك سؤال أساسي : كيف امكن للدكتور البيطار أن يقع في كل هذه الاخطاء المنهجية ؟ ثم ، هل هي بالفعل مجرد أخطاء منهجية ؟ أم أنها تعود في طبيعتها العميقة الى خطأ اولي، جوهري، اساسي، سابق للمنهج ولاخطاء المنهج ؟

ان مجرد طرحنا لهذا السؤال يشير الى اننا قد اخترنا الجواب سلفا.وما خطأ الدكتور البيطار الاولي، الاساسي، غير اختياره المبدئي، القبلي ، لدوره كمثقف تجاه الجماهير . ولقد رأيناه في مطلع هذا المقال يعلن أن الطور الراهن من الحركة الثورية العربية هو طور الانبياء ، اي طور صناع العقائد والايديولوجيات . وهو كله قناعة بأن « نخبة انقلابية من الشباب العربي » هي وحدها المؤهلة لان « تشرف على الحركة العربية وتبني المصير الروحي الجديد » ،وبأن « عددا محدودا من الانفس الكبيرة » (٣٠) هم وحدهم الذين يملكون ما فيه الكفاية من الطاقات الخلاقة لقيادة الامة على طريق الانقلاب المنتظر .

ان تصور الدكتور البيطار عن الثقافة هو تصور نخبوي نموذجي، تصور بكرس كل « غباء » الجماهير و« سطحيتها » و« قزميتها » تجاه عملقات المثقفين وعمقهم الذي لا يسبر له غور وتفوقهم . وانما من هذا التصور لعلاقة المثقف بالجماهير ، ولدور كل من المثقفين والجماهير في التاريخ، المثقفين الفاعلين والجماهير المنفعلة ، المثقفين بوصفهم ذات التاريخ والجماهير بوصفها موضوعه ، استنتج الدكتور البيطار كل تصوراته عن طبيعة الايديولوجيا ووظيفتها ودورها في التاريخ. ومهما امكن لتصورات الدكتور البيطار عن الايديولوجيا ان تبدو خطرة وضارة ، فان موقفه المبدئي من الجماهير لهو أشد خطرا وضررا. ولسوف نقدم للقارىء بعض النماذج التي نستطيع من خلالها ان نفهم لماذا اعتبر الدكتور البيطار النازية ايديولوجيا ثورية ولماذا رأى في الانحطاط الستاليني للماركسية سموا ايديولوجيا :

ـ « تتميز الجماهير بافكار سطحية جدا ... وبعواطف قوية»(٣١).

ـ « الجماهير عاجزة عن التفكير المجرد وعاجزة عن الاهتمام بشيء يتجاوز تجاربها اليومية المباشرة . ففوى اللاوعي والمشاعر هي التي تحدد سلوكها وليس العقل أو المعرفة . والايديولوجية الانقلابية الناجحة هي التي تتميز بقدرة على استخدام القوى والمشاعر تلك»(٣٢).

ـ « ان تاريخ الحركات الانقلابية يدل بوضوح تام على ان الجماهير كانت تمثل دائما وبشكل مستمر اكبر قوة شعورية لا واعية في التاريخ » (٣٣) .

---

(٢١) : المصدر نفسه ـ ص ٩٨ .
(٢٢) : المصدر نفسه ـ ص ١٠٢ .
(٢٣) : المصدر نفسه ـ ص ٣٧٣ .
(٢٤) : المصدر نفسه ـ ص ١٩٥ .
(٢٥) : المصدر نفسه ـ ص ١٩٩ .
(٢٦) : المصدر نفسه ـ ص ٥٥١ .
(٢٧) : المصدر نفسه ـ ص ٥٦٣ .
(٢٨) : المصدر نفسه ـ ص ٦٦٦ .
(٢٩) : المصدر نفسه ـ ص ٨٠٤ .
(٣٠) : المصدر نفسه ـ ص ٢٦ ـ ٢٩ .
(٣١) : المصدر نفسه ـ ص ٣٧٠ .
(٣٢) : المصدر نفسه ـ ص ٣٧٢ .
(٣٣) : المصدر نفسه ـ ص ٣٥٨ .

الجدار

واقفا يشربني الليل ويرميني الدوار
نجمة ...
أغنية من دون ومض
آتيامن زمن الجوع ومن صمت البحار
زورقايطلع من صمت الاساطير ويمضي
انني انفض عن روحي الغبار
كي اشمّ النكهة الاولى لارضي .

كذب كل ابتهالاتي وحبي
كذب ما ينبت الوهم من الدفلى بقلبي
كذب ما من فرار
كلماتي لا تطيق القفز من هذا الجدار

كذب ما وشوشته الريح
ما كانت تقول :
« انّ ضيفا باركته الريح
ضمته الى صدر الحقول
سوف يأتي » . آه لم يأت
ولم يأت الذي كانت تقول :
« هو ذا الميت قد عاد فتيا
اشقر الشعر يضيء الليل مسراه
وتخضرّ الكروم
خطوه أرجوحة الفجر
وعيناه نجوم
مسحة الشحاذ القاها
ولم يلبس سوى الوعد الذي يومىء
ان صار نبيا » .

وانا يساقط الرمل على رأسي
وهذا الليل يغفو في عيوني
لم تفارق شفتي كأس الحنين
انني لم امتلك ، بعد ، عصا الساحر
لم المح سنا البرق الذي يلمع في
طور سنين
لم يحل الربّ عقدات لساني
غير اني لم ازل ابسط كفي بالسؤال
انتحي الظلّ والتمّ على نفسي
واطوي العمر في ذل السؤال
واغني ـ ثاقبا صمت الليال :
ربما يورق في رأسي حلم
ربما يسقط نجم
ربما ...
ربما ...

ضياء خضير

العراق ـ قلعة سكر

ـ « تحتاج الايديولوجيا الانقلابية الى فعالية الجماهير . وفعالية الجماهير ممكنة لانها .. جاهلة ومحدودة الفكر ..والمذاهب تنتشر وتنتقل عن طريق الايحاء والعدوى والترديد والتلقين ،لا عن طريق الفكر والعقل . كان سقراط يقول انه قد يكون الحدادون والنجارون والسكافون مهرة في حرفهم ، ولكن اكثريتهم ذات نفوس ساكنة ، فهم لا يعرفون ما هو الجمال او الخير او العدالة » (٣٤) .

وبديهي اننا لا ننكر ان للجماهير غريزتها الصادقة وحكمتها المباشرة . ولكن هذا شيء ، وتجريد الجماهير من ملكة التفكير واعتبارها قوة غريزية محضة شيء اخر .

وبمجرد ان نعتبر الجماهير قوة غريزية خالصة ولا واعية ،فاننا نكون قد انسقنا ، شئنا ام أبينا ، الى اعتبار الايديولوجيا عقيدة ايمانية ،ديماغوجية ، لا نقدية ولا علمية ولا تاريخية ، مقياس قوتها الولاء الصوفي المتعصب الاهوج، لا حقيقيتها وصحتها .

وليس هذا فحسب ، بل لا مناص ايضا في هذه الحال ، وحتى تكتمل قوة الايديولوجيا كعقيدة ايمانية، من أن تتشخص هذه الايديولوجيا في شخص زعيم ، على النحو الذي تجسدت فيه النازية في عبادة شخصية هتلر والستالينية في عبادة شخصية ستالين . وليس من قبيل الصدفة ان ينبري الدكتور البيطار للدفاع عن عبادة شخصية الزعيم وتبريرها تاريخيا . فعبادة الشخصية هي التتويج الحتمي لازدراء الجماهير ومبادرة الجماهير . وهو اذ يقول بان مكانة الزعماء قد تفوق أحيانا « مكانة اقدس الانبياء والرسل وتضاهي مكانة الالهة نفسها في انفس الاتباع » (٣٥) ، فانه لا يقول ذلك مستنكرا ، بل مصدقا مؤيدا لان كل حركة انقلابية تحتاج في رايه حتى تكون فعالة الى « فوزد (لقب ستالين) ،الى دوتشي، الى فوهرر ، الى رسول » (٣٦) ولان « الجماهير تعبد الشيطان ان لم تجد آلهة تعبده » !(٣٧) .

ترى ـ ولتكن هذه مؤقتا كلمة الختام ـ الا بمثل تصور المثقفين هذا عن الجماهير ادانة لا للجماهير وانما للمثقفين انفسهم كمساهمين كبار في شركة النبوة الكاذبة وتروست صناعة الاساطير وتجارتها ؟ ولكن الم نتعلم على مقاعد الدراسة ان الثقافة هي نتاج نضال الانسانية ضد السحر والاساطير والنبوات الكاذبة ؟ واذا كان الامر كذلك ،افليس من حقنا ان نتوقع وان نطالب بلا تاخير بان تاخذ « عملقات » هذا النمط من مثقفينا طريقها الى غربال التاريخ ومتحفه ؟

حلب

جورج طرابيشي

(٣٤) : المصدر نفسه ـ ص ٣٥٩ . وبالمناسبة ، واذا كانت الجماهير لا تعرف الجمال ، فهل يستطيع سقراط او الدكتور البيطار ان يقولا لنا لماذا يهتم بائع الفول البسيط في بلادنا بتزيين دكانه باوعية زجاجية مليئة بمياه ملونة : زرقاء وحمراء وخضراء ، مع انه ليس لها اي فائدة مباشرة غير متعة العين ؟ ولماذا يهتم بائع اللوز الاخضر بصف حباته على نحو هندسي رائع ومزدان بالازاهير من شتى الالوان ؟

(٣٥) : المصدر نفسه ـ ص ٣٦٥ .
(٣٦) : المصدر نفسه ـ ص ٣٦٢ .
(٣٧) : المصدر نفسه ـ ص ٣٧٦ .